الجزء الاول　　تشرين الثاني ١٩٠٩　　المجلد الثاني

النفائس العصرية

مجلة فكاهية ادبية تاريخية

مقدمة السنة الثانية

نفتتح سنتنا الثانية بحمد الله تعالى على ما اولانا من نعمه وشكره سبحانه على ما افاض من كرمه　و بعد فقد اجتازت النفائس سنتها الاولى وتخطت بهمة حضرات الوكلاء والاصدقاء والمشتركين الكرام الى الثانية وهي ناطقة بشكر جميع الذين آزروها منهم ونشطوها وعضدوها وكانوا سبباً في حياتها وانتشارها

ولقد كانت هذه المجلة في اول عهدها كراسة صغيرة مقتصرة عَلَى الفكاهات فقط غير اننا — اجابةً لاقتراح جمهور من القراء

— لم نلبث ان ادخلنا فيها بعض الادبيات على قدر ما اتسع لنا المجال . وقد آلينا ان لا تدخل سنة جديدة الاّ ونزيد في صفحاتها وترقيتها وترتيبها رجاء ان تعيش وتنمو شأن كل ما يؤمّل له الحياة والدوام

اما المواضيع التي ستتضمنها المجلة في سنتها الثانية فهي كما يأتي :

الروايات — يُنشر منها في كل جزء رواية او اكثر من الروايات الصغيرة التي تُبدأ وتُختم في نفس الجزء . ورواية كبيرة متسلسلة في جميع الاجزاء وستكون كلها من احسن ما كتب في هذا الموضوع فكاهةً وادباً وفائدةً

المقالات — وتشمل المباحث الادبية والتهذيبية والعلمية والتاريخية والفكاهية الى غير ذلك من كل ما فيه توسيع للمدارك وارشاد للبصائر وفكاهة للالباب

المنثورات — نكتب تحت هذا العنوان في كل جزء شيئاً كثيراً من الملح والطرف والنوادر واللطائف والاخبار العلمية والفنية والمقطعات الشعرية وغير ذلك مما يروق المطالع ويجمع بين الفائدة والفكاهة

ولما كان حجم المجلة لا يتسع لكل هذه المواضيع رأينا ان نصدرها مرةً واحدةً في الشهر ونزيد في صفحاتها واتقانها وتوسيع

فوائدها لتنال بين القراء اوفر حظ من الرغبة والارتياح · ولنا الامل الوطيد انها ستكون في عامها الجديد اكثر فوائد واعمّ نفعاً واطيب فكاهة والطف وقعاً منه في العام السابق · والله المسوءول ان يوفقنا في خدمة الامة والوطن الى كل عمل مفيد وقول سديد وهو حسبنا وعليه الاتكال

تولستوي

١

﴿ الفيلسوف الروسي الشهير ﴾

في اثناء القرن التاسع عشر تولّى قيادة عقول البشر ثلاثة رجال من اعظم واشهر رجال الدنيا اولهم غوتي الالماني الذي كان ينصت العالم المتمدن باسره الى كل كلمة يقولها بكل شغف وارتياح وبعد غوتي بقي عرش العلم فارغاً الى ان رقيه فيكتور هيكو الفرنساوي · وبعد وفاته اصبح القائد الاكبر للعقول بلا منازع الفيلسوف تولستوي الروسي الذي لم تبقَ بقعة من الارض الا وسمع اهلها به او قرأُوا اقواله · ولم تبقَ لغة الا وتُرجمت اليها مصنفاته كلها او بعضها · وقد جُدّد طبع موءلفاته كلها اكثر من عشر مرّات وهو حيٌّ يرزق · وهذا فوز باهر لم يسبقه اليه احد من

كبار الرجال · حتى ان المنزل الذي يسكنه تولستوي قد اشتهر لدى الخاص والعام كما اشتهر صاحبه واصبح محجاً تحج اليه الالوف من الناس على اختلاف العناصر والطبقات

فيا سنايا بوليانا — وهي البقعة التي يقطنها فيلسوف القرنين التاسع عشر والعشرين — واقعة في ولاية تولا على بعد نحو خمسة عشر كيلومتراً من مدينة تولا · وهي بهيئتها الخارجية لا تمتاز بشيء عن غيرها من منازل الاشراف والامراء · ولكنها تمتاز على سائر القصور والمنازل بكونها موطناً لتولستوي · ففيها وُلد وفيها قضى حداثته وفيها صرف شطراً عظيماً من حياته وفيها ايضاً كتب مصنفاته المشهورة مثل « الحرب والسلم » و « حنة كارينينا » و « الاعتراف » و « ما هو ايماني » و « وفاة ايفان ايليتش » و « لحن سونات » و « البعث » وغيرها وغيرها من المؤلفات والكتابات التي سحرت العقول وخلبت الافكار

هذه البقعة وصفها كثيرون من سيّاح وعلماء اوروبا واميركا ولم يدعوا جانباً منها الا ووصفوه احسن وصف بمزيد الاسهاب والبيان · هذه البقعة كانت فيما مضى اشبه بحصن اقيمت عليه الابراج وقام لحراسته الخفراء والحراس — يسكنها الان رجل في ثوب الفلاحين وهو يُرى في اكثر الاحيان فيها بين زائريه ومريديه يحدثهم عن الله ويشرح لهم تعاليم المسيح لا ينعهم عن

ذلك لا ابراج ولا خفراء

في تلك البقعة الان منزلان احدهما مُعدٌّ لسكنى تولستوي واسرته والآخر لاستقبال الزوّار والضيوف . والاول منهما مؤلف من طبقتين وهو بسيط الهندسة وليس عليه شيء من النقوش والزخارف الخارجية . وفي الطبقة السفلى يقضي الفيلسوف اكثر ايامه ففيها مكتبه ومكتبته ومخدعه وكلها مثال البساطة وعدم الفخفخة مع ان صاحبها من اهل الثروة والحسب الرفيع . فمكتبه اشبه بغرفة طالب علم مجتهد وغير غني فليس فيه من الاثاث سوى مائدة و بضعة كراسي ومقعد ومكتبة صغيرة و بعض صور معلقة على الجدران من جملتها صورة فوتوغرافية عليها رسم مشاهير كتاب الروس لعام ١٨٥٦ وهم تولستوي وغريغوروفتش وغونتشاروف وتورغينف ودروجينين . وتولستوي بينهم ببذلة حربية و يداه على صدره بهيئة صليب

ومكتبته حافلة بكثير من الكتب والمجلدات بسبع لغات وهي التي يفهمها صاحب الترجمة و يعرفها جيداً و بينها طائفة من كتب الدين واللاهوت وتفاسير الاناجيل و بعض مؤلفات علماء الكنيسة

ومما يؤثر عن هذا الرجل الكبير انه يقبل في منزله كل زائر سواء كان من الخاصة او العامة ولا يأنف من محادثة احد وهو

لطيف مع الجميع ولم يتذمَّر قط من كثرة زائريه الذين كثيراً ما يشغلون اكثر ساعات نهاره وهي عنده وعند العالم اجمع ثمينة للغاية . وان الجم الغفير من هؤلاء الزوّار ينشرون في الجرائد والمجلات ما لاقوه عنده وما سمعوه منه . ومماهو جدير بالذكر ان تولستوي لا يخفي شيئاً عن احد . فحياته كالمنارة الموضوعة علَى جبل وليس تحت مكيال وهو يقول علَى الدوام « ليس لي اسرار خاصة احرص عليها واحجبها عن العالم فليعلم كلٌ من اراد ماذا اعمل وكيف اقضي اوقاتي ... » . وتصريحه هذا يسمح لنا ايضاً ان ننشر ترجمته بتمام التفصيل والبيان ليعلم قراء العربية اكثر تفاصيل حياة اعظم فلاسفة هذا العصر

٣

هو الكونت لاون نيقولايفتش تولستوي وُلد في الثامن والعشرين من شهر آب سنة ١٨٢٨ فعمره الان واحد وثمانون سنة وكان جده الاول — بطرس اندريفتش تولستوي — من اصدقاء الامبراطور بطرس الاكبر واخصائه . وهو من اسرة بروسية اسمها « ديك » ومعناها في اللغة الروسية تولستي وفي العربية ثخين او غليظ . وكان الكونت بطرس هذا سفيراً للدولة الروسية في الاستانة وقد خدم حكومته ووطنه بهذه الوظيفة خدمات حسنة مهَّدت لنسله سبيل الترقي في الوظائف والجاه

ومن ذلك الحين اشتهرت اسرة تولستوي في روسيا ونبغ منها رجال عظام تقلدوا وظائف كبيرة وقاموا باعمال خلدوا لاسرتهم بها اسماً شريفاً وذكراً مجيداً . وكانت معيشة التولستويين مدى قرنين كاملين اريسطوقراطية محضة فكانوا لا يزوجون ولا يتزوجون الاَّ من أُسر الاشراف والامراء . فأم صاحب الترجمة الاميرة فولكونسكايا وجدته الاميرة غورشاكوفا وجدته أمّ امه الاميرة تربيتسكايا . والاسرتان الاوليان من سلالة روريك اول امراء الروس

وكان ابو صاحب الترجمة — نقولا ايليتش تولستوي — من كبار ضباط فرقة الخيّالة (الهوسار) وقد حارب في الجيش الروسي ضد العساكر الفرنساوية سنة ١٨١٢ و١٨١٣ ونال شهرة حسنة وكان والده من اهل التبذير والاسراف والترف وقد توفي وعليه ما لا يحصى من الديون فاضطرّ ابنه حفظاً لكرامة ابيه ان ينفق كل ماله لارضاء اصحاب الديون . غير انه لم يلبث ان اقترن بالاميرة ماريا فولكونسكايا — وهي الوريثة الوحيدة لاحد اكابر اغنياء الامراء في روسيا — واصبح بذلك ذا ثروة طائلة

وكان والدا صاحب الترجمة قاطنين في ياسنايا بوليانا بتمام الرفاهية والسعة وقد توفيت والدته سنة ١٨٣١ وعمره اكثر من ثلاث سنوات بقليل . وبعد ذلك بست سنوات توفي والده

فاصبح رجل المستقبل لطيماً وهو ابن تسع سنوات وله ثلاثة اخوة واخت فاعتنت بهم المدعوة يرغولسكايا وهي احدى نسيباتهم

وفي سنة ١٨٣٧ انتقلت اسرة تولستوي من ياسنايا بوليانا الى موسكو لان نقولا تولستوي — وهو الاخ الاكبر لصاحب الترجمة — كان يستعد لدخول الجامعة فيها . غير انهم بعد وفاة الاب اضطروا ان يعودوا الى ياسنانا بوليانا حيث اخذوا يتعلمون عَلَى بعض الاساتذة النمساويين

وكان تولستوي في حداثته كثير اللعب والحركة . ومما يُحكى عنه من هذا القبيل وهو ابن سبع او ثماني سنوات انه كان يفتكر كثيراً بالطيران وكان يتصوَّر ان الانسان اذا جلس في محل مرتفع واحتضن ركبتيه بيديه فانه يطير لا محالة . واخيراً عزم عَلَى ان يمتحن ذلك بنفسه فصعد الى نافذة في غرفة الدرس تعلو عن الارض نحو باعين ونصف وجلس كما تصوَّر ثم اندفع ليطير فسقط الى الارض وقد اغمي عليه وتألمت رجلاه شديداً .

وفي سنة ١٨٤٠ ماتت الوكيلة عَلَى تولستوي واخوته (الكونتة اوستن ساكن) وانتقلت الوكالة الى عمتهم يوشكوفا وهي ذات ثروة كبيرة وشهرة عظيمة وكانت ساكنة مع زوجها في مدينة كازان في منزل فخيم كان يتردد اليه كثيرون من

اصحاب الثروة والجاه فالى هذا المنزل استدعت يوشكوفا الاخوة التولستويين وصارت تعتني بهم ولا اعتناء الوالدة باولادها. وكان في كازان جامعة كجامعة موسكو انتقل اليها من جامعة موسكو نقولا تولستوي كبير الاخوة

وهكذا ففي ياسنايا بوليانا وموسكو انقضت حداثة تولستوي وبانتقاله الى كازان انتقل من طور الحداثة الى طور الفتوة. واليك ما قاله هو نفسه بهذا الصدد: «هل حُدث لك ايها القارىء في وقت من اوقات حياتك ان تلاحظ ان نظرك الى الاشياء قد تغير حالاً وصرت تراها بغير قالبها التي عرفتها به من قبل؟ فهذا التغيير الاخلاقي قد جرى لي لاول مرة في اثناء سفرنا الى كازان وهو الذي اعتبره بدء فتوَّتي

فقد خطر لي اذ ذاك لاول مرة و بكل وضوح وجلاء اننا لسنا وحدنا — انا واخوتي — نحيا في هذا العالم وان ليس جميع المصالح والمنافع انما وُجدت لاجلنا بل هناك حياة اخرى لغيرنا من الناس ليس لهم علاقة بنا او معرفة بحياتنا ووجودنا ... لا شك اني كنت قبلاً اعرف كل ذلك ولكني لم اتمكن من ادراك الحقيقة وقتئذٍ كما ادركتها الان

ولما شاهدت القرى والمدن التي اجتزناها في طريقنا والتي في كل بيت منها عائلة كعائلتنا وشاهدتُ النساء والاولاد الذين

كانوا ينظرون الى عربتنا ولا يلبثون ان يتواروا عنا او نتوارى عنهم الى الابد ورايتُ الباعة والفلاحين الذين لم يحفلوا بنا ولا سلموا علينا او نظروا الينا — خطر لي ان سألت نفسي هذه الاسئلة: تُرى ما الذي يشغلهم عنا؟ وكيف هم يعيشون وبماذا يشتغلون وكيف يربُّون اولادهم؟ أفيعلمونهم ويسمحون لهم باللعب وكيف يقاصونهم؟ ...»

وكان لصاحب الترجمة في كازان معلم اسمه توماس عهد اليه بتعليمه واعداده لدخول الجامعة · وكانوا في ذلك العصر يقبلون فيها الطلبة من ابناء الاشراف بسن الرابعة عشرة فما فوق · وفي سنة ١٨٤٣ دخل صاحب الترجمة الجامعة واختار ان يدرس فيها اللغات الشرقية كالعربية والتركية والتترية وكان عمره آنئذٍ خمس عشرة سنة

٣

كان الفتى تولستوي في كازان محاطاً بكل نوع من الرفاهية واسباب الهناء · غير ان هيئته كانت تدلّ على حزن شديد وعناء داخلي مستمرّ · لم يضطهده احد ولم يحتقره احد ولم يُمنع عنه شيء من مطالب هذه الحياة وكان مشمولاً بكل عناية واهتمام · فلماذا لم يكن سعيداً؟ لماذا كانت نفسه مضطربة وهي في وسط لا تكون فيه النفس الا سعيدة محبورة؟ لا شك ان سبب ذلك انما هو مخالفة

حالة تولستوي لحياته الادبية « وهذه المخالفة — يقول تولستوي — هي الدليل الصادق الى الحقيقة »

ولبيان ذلك نقول — تصوّر انك سائرٌ ليلاً في حرش تجهله وانك تسير فيه منفرداً في ظلمةٍ حالكة . فانت في هذه الحالة تنتظر بلا شك كل دقيقة امراً ما . فالخوف من جهة والانتظار من جهة اخرى يجعلانك سريع التأثر والانفعال لكل حركة تشعر بها و يصبح نظرك اشدّ وسمعك احدّ حتى انك وانت في هذه الحالة لَتسمع صوت وقوع اوراق الشجر وحركات الهوامّ الصغيرة الدابة على الارض وكثيراً ما تتصوّر انك تنظر او تسمع شيئاً من هذا والحقيقة انك لا تنظر ولا تسمع شيئاً .. يتراءى لك كل ذلك لانك محاط بمخاوف كثيرة تمثلها لك المخيّلة في صور مكبّرة

لا جرم ان اليد الجميلة اذا نظرتَ اليها قريباً وتفحصت بشرتها بنظر حادّ فانها تبدو لك مشوّهة و بشعة وهكذا الحياة فانك اذا نظرت اليها قريباً ودرستها جيداً لا تلبث ان تعود عنها مدحوراً مقهوراً معذباً كما جرى ذلك فعلاً لجمهور غفير من نوابغ الرجال الذين كلما طال درسهم للحياة كلما ازدادوا كراهة ونفوراً منها

هذا ما جرى لصاحب الترجمة ايضاً فانه حالما شرع يفتكر

ويتأمل في اسرار هذه الحياة تغيرت اطواره كثيراً وصار يُرى في اكثر الاوقات متأملاً مقطباً سريع الغضب محباً للعزلة والانفراد وكان على الدوام يتأمل في احوال هذا الكون وحياة الانسان ومصيره وجهاده والعوامل المختلفة التي تتدافعه من جهة الى اخرى.

ومن كلامه في هذا المعنى ما يأتي :

« مضت عليّ سنة وانا في حياة العزلة اتأمل حالة الانسان ونفسه الخالدة وأَجتهد في حل تلك المسائل التي لم يتوفق الى حلها احد . وقد خيّل لي ان السعادة ليس لها تعلق بالاسباب الخارجية بل انما هي صادرة عن علاقتنا بها وان الانسان اذا اعتاد تحمُّل المتاعب والمشاق لا بدَّ ان يدرك اخيراً السعادة : ولكي ادرّب نفسي على التعب كنت احمل بيديَّ كتباً ضخمة وثقيلة مدة خمس دقائق ويداي مرتفعتان او كنت اتجرّد من الثياب واجلد ظهري بحبل الى ان تتفجر الدموع من عينيَّ ألماً وعياءً . وحينما كنت افتكر بالموت وانه ينتظرني في كل ساعة كنت اجزم بان الناس لا يمكنهم ان يكونوا سعداء اذا ظلوا يفتكرون بالمستقبل فالسعيد من اغتنم فقط فرص الحاضر وترك كل اهتمام بالغد . وقد اشتدَّ فيَّ هذا الفكر في بعض الايام حتى اني طرحت كتبي جانباً واهملتُ الدرس بتاتاً وبقيت ثلاثة ايام مضطجعاً على سريري أُطالع روايات فكاهية وآكل حلويات لذيذة . . . »

فمن هنا نرى ان الفتى تولستوي اخذ يمعن في تأملاته وتصوّراته و يشعر بتعسه وشقائه في هذه الحياة و يفتكر بالموت وهوفي اول نضارة الحياة . و بهذه الافكار والاحوال باشر دروسه في الجامعة . فلا عجب اذاً اذا لم يصادف فيها نجاحاً وتقدماً وزد عَلَى ذلك فان احوال معيشته في منزل عمته كانت تنكب به عن سواء السبيل وتؤذي عقله ونفسه وقلبه لان الحياة هناك كانت مشوبة بسائر الاخطار والمضارّ التي تخنق النفس العالية والادب الصحيح

(ستأتي البقية)

زوجة قريبك

كان في احدى المدن فتىً في الخامسة والعشرين من سنه يُقال له راعول وكان اديباً ذكياً نشيطاً لطيف الهيئة جميل الصورة غير انه لم يصادف حظاً في اشغاله فعمد الى البحث عن خدمة في بعض المحلات التجارية اوغيرها بصفة كاتب ولكنه لم يحصل من الرزق الاّ النزر اليسير وبقي مدةً بلا شغل البتة . واتفق انه قرأ يوماً اعلاناً في احدى الجرائد المحلية بامضاء « الدكتور فيليب ... » جاء فيه ان الدكتور المذكور يطلب كاتباً في منزله باجرة حسنة . فبادر راعول وعرض نفسه عليه . فقال له الدكتور

— وهل لديك شهادات بحسن ماضيك ؟ فابرز له راعول ما كان
لديه وقتئذٍ من الاوراق فنظر فيها الدكتور باهتمام ثم قال — انها
لشهادات حسنة ولكني اتعجب كيف انك وانت ابن تاجر تتعاطى
غير حرفة اهلك . قال — سعيت لاشتغل بالتجارة ولكن قلة
ذات اليد حالت دون ذلك وقد مضى عليَّ الان ثلاثة اشهر
وانا ابحث واسعى وراء الشغل فلم يتيسر لي ذلك . نعم اني اشتغلت
قبل هذه المدة بالتجارة واستُخدمت في كثير من المحلات التجارية
غير اني أُصبتُ اخيراً بروماتزم حادّ انتابني ثلاث دفعات اقعدني
عن العمل مدةً ولما شُفيت رأيتُ جميع ابواب الرزق مقفلة
في وجهي . قال — اني اشكر تصريحك وصدقك ولكني اخشى
ان يعاودك المرض وانت عندي فتقف اشغالي . فانا الان مهتم
بوضع كتاب علمي كبير في غاية الاهمية وقد اعلنت عن ميعاد
صدوره في مدة قريبة فأقل عاقة في سهيله تسبب لي كدراً عظيماً .
فتنهد راعول وظهرت الكآبة في وجهه وقال — وانا بلا شك
لا استطيع ان أعدك باني لن امرض ابداً فانت اذاً حرٌّ في قبولي
او رفضي . قال — وبما انك بقيت زمناً طويلاً بلا شغل فانت
اذاً في حالة ضيقة من العيش . قال — لا اكتمك ياسيدي
ان الدراهم القليلة التي كانت بيدي قد انفقتها كلها منذ اسبوع في
اثناء مرضي الاخير . قال — نعم ان هذا امر محزن غير اني لا

اكتمك ايضاً ان الاشخاص الذين جاءوا يعرضون انفسهم للاشغال عندي ليسوا باحسن حالة منك وزد عَلَى ذلك فهم متزوّجون ويسوءني ان ارفض استخدامهم لاجل هذه الحالة فقط . فهل انت متزوّج نظيرهم ؟

فلما سمع راعول هذا الكلام ثبت لديه ان عَلَى جوابه يتعلق امر استخدامه وان الدكتور كما يظهر يريد ان يختار كاتباً متزوجاً فاجابه باحناء الراس دلالة على انه متزوج . فأطرق الدكتور قليلاً ثم قال — اعلم ايها الصديق اني رجل لا احتمل الكذب مطلقاً ولما رأيت منك هذا الصدق الباهر احببت ان افضلك عَلَى جميع الذين جاءوا قبلك اما ايثاري استخدام المتزوجين فهو لان لهم عيالاً يضطرون الى اعالتها والاهتمام بها وهذا يحملهم بلا شك عَلَى الاعتناء بعملهم والمواظبة عليه بخلاف العزّاب الذين لا يهمهم الا انفسهم وهم اكثر خطراً واقل دربة وحنكة . وعليه فانت منذ الان كاتبي الخاص وقد عيّنت لك راتباً شهرياً قدره مئة وخمسون فرنكاً فيمكنك ان تحضر الى هنا من صباح الغد وتباشر العمل . فهل انت راضٍ بهذه الشروط ؟

قال — ان ذلك اكثر مما كنتُ اتوقع فاشكرك يا حضرة الدكتور وسابذل جهدي في مرضاتك

قال ليس في ذلك ما يستوجب الشكر لانك ستنال معاشك

يعرق جبينك . فخذ الان هذه المئة فرنك من اصل راتبك عن الشهر الاول اذقد تكون مضطراً الى النفقة واذهب الى زوجتك فلعلها تكون بانتظارك ولكني ارجوك ان تكتب لي وصلاً بالقيمة

فكتب راعول وصلاً بالمئة فرنك بيد مرتجفة ثم اخذ المال وانصرف وهو محني الراس ممتقع الهيئة وقد رآه الدكتور على هذه الحالة من النافذة فقال في نفسه : يظهر ان هذا الشاب في حالة الفقر المدقع . ثم اوصى خادمه ان يعلن جميع الذين يجيئون بعد ذلك في طلب الاستخدام ان الدكتور وجد ضالته

وفي اليوم التالي جاء راعول الى منزل الدكتور واشتغل حتى المساء بتمام الاتقان والاجتهاد بحيث سرّ منه الدكتور غاية السرور وتوسم فيه خيراً وقال له — اني واثق بانك ستحقق آمالي وانك لن تخدعني والذى أثر فيّ بنوع خاص هو صدقك ولا شيء في العالم اكرهه مثل الكذب والرئاء فانا اعتبر الانسان بصدقه فاذا كذب فلا أعود اعتبره انساناً . فلما سمع راعول هذا الكلام تشاغل بترتيب الاوراق التي امامه وقد صُبغ وجهه بلون القرمز ولم يلبث ان قال بصوت مرتجف — هل بقي شيءٌ استطيع عمله في هذا المساء ؟ قال — لا . ولا اريد ان تشغل ساعات مسائك بالشغل لانها مختصة بامرأتك التي ارجوك ان تقدم لها احترامي عن غير سابق معرفة بها . فتمتم راعول بعض كلمات غير واضحة ثم حنى رأسه مودعاً وتوجه نحو

الباب ولكنه وقف على العتبة كأنه يريد ان يتكلم . فقال له الدكتور هل تريد ان تقول شيئاً ؟ فارتبك راعول وقال — كلا بل انما اردت ان اسألك هل آتي غداً كما اتيت اليوم؟... واذ سمع الجواب المطلوب انصرف

وفي اليوم التالي لم يجرِ حديث بين الدكتور وكاتبه الا فيما يتعلق بالشغل لان الدكتور من طبعه كان قليل الكلام وكان يُرى كأنه ابن اربعين غير ان عمره الحقيقي كان اثنتين وثلاثين سنة . وفي هذه السن كان هادىء الطبع كثير التأمل مقطب الوجه حزين النفس . ولم يلبث راعول ان اكتشف سبب حزنه وتأمله . وذلك انه كان يرى على مائدته صورة امرأة جميلة حديثة السن وقد قال له الخادم مرةً انها صورة امرأته وقد توفيت منذ سنتين وابقت له ابنةً وحيدة اسمها إلزا بلغ عمرها خمس سنوات وهي مثال امها

وكان الدكتور فيليب يحب ابنته حباً فائقاً . وكانت كلما دخلت الى مكتبه وهو غائص في افكاره بددت للحال همومه غير انه بخروجها كانت تعود اليه عبوسته وهواجسه

...

وكان من عادة الدكتور ان يخرج كل يوم للنزهة عند المساء في البرية . واتفق في احد الايام وهو عائد من نزهته ان التقى

بكاتبه وهو متأبط ذراع فتاة جميلة لم يشك في انها زوجته · فطارحهما السلام هاشاً وقال لراعول — بكل سرور اتقدم اليك ان تعرّفني بقرينتك · فارتجف راعول شديداً لدى سماعه ذلك وقد بدت على وجهه البغتة والحيرة · فنسب الدكتور ذلك الى حياء منه والتفت الى رفيقته وقال لها — لي الشرف ان اتعرّف بك ايتها السيدة اللطيفة وأرى من الواجب ان اخبركِ بان زوجك قد حقق آمالي وآنستُ فيه جميع الصفات التي احبها ولذا فانا ارجوك دوام العناية به ليظل معافى نشيطاً · ثم ودعهما وسار في طريقه وهو يقول في نفسه: انهما سعيدان في حياتهما وكلٌّ منهما انما يعيش للآخر

وفي الصباح التالي جاء راعول كعادته ولكن علائم الارتباك والقلق كانت بادية على وجهه وكان يحاذر ان يلتقي نظره بنظر الدكتور · ولما دخل الدكتور الى المكتب بشّ في وجهه وقال — اهنئك يا راعول فان زوجتك نادرة في جمالها · فاحمرّ راعول وقال — انا . . . انا اسألك يا مولاي . . .

فاستغرب الدكتور ذلك منهُ وقال — قل ما بدالك · فماذا تريد ان تسألني ؟

فاختلق راعول كلاماً لا محلّ له وعاد الى شغله ولكنه كان في هذا النهار مشرّد الافكار شديد القلق · وقد لحظ منه ذلك الدكتور فتعجب وانقبض في داخله

ولم تزل الحالة على ما ذكرنا الى ان دخل الدكتور يوماً الى المكتب فلم يرَ كاتبه فخشي ان يكون قد اصابه مكروه · فقلق لذلك كثيراً وجلس يرقب مجيئه وهو في حالة التهيج والغيظ · وان هو لكذلك اذ دخل الخادم وقال — بالباب سيدة تريد مواجهتك يا سيدي فهل تسمح لها بذلك ؟ فقال — دعها تدخل

ولم تكن الا لحظة حتى دخلت الى المكتب سيدة ممشوقة القوام رائعة الحسن حديثة السن عرفها الدكتور حالاً انها زوجة كاتبه راعول فنهض لاستقبالها وبش في وجهها وقال — لا بدّ ان يكون قدومك ايتها السيدة لامرٍ مكدر فاين زوجك؟ فاحمرّت الزائرة خجلاً وقالت — ان راعول ايها الدكتور في حالة المرض الان وقد شعر بذلك منذ يومين ولكنه كان يتجلد ويتظاهر بالعافية خوفاً من تكديرك · اما اليوم فلم يستطع القيام وقد اشار عليه الطبيب بملازمة الفراش خمسة او ستة اسابيع

قال — هذا بلا شك مكدّرٌ لك ومضرٌّ بي

قالت — انا اعلم ذلك يا سيدي وراعول نفسه متأسف جداً لانه قد سبب لك بمرضه كدراً شديداً وذلك يؤلمه اكثر من مرضه · ولذلك فهو يعرض عليك ان تقبلني في مركزه الى ان يشفى

فبهت الدكتور وقال — انتِ ؟ وهل ذلك ممكن ؟

قالت — نعم يا سيدي فانا اشتغل عنه كل مدة مرضه وقد

مارست فن الكتابة مدة فليس لك الآن ان تمتحن مقدرتي

فنظر اليها الدكتور بدهشة وقد تهيب لجمالها الفتان والحاظها الساحرة ولم يشك في صدق كلامها ولكنه قال لها — اني اشكر استعدادك لمساعدتي ايتها السيدة الكريمة غير اني في الوقت نفسه لا استطيع ان اقبل ما تعرضينه عليّ لاسباب كثيرة اهمها احتياج زوجك اليك في اثناء مرضه فينبغي لك ان تكوني بازائه وتقومي على تمريضه ومساعدته لا ان تتركيه وحده يتقلب على فراش المرض وليس امامه من يعزيه ويخفف عنه آلامه . ولذلك فارجوك ان تعودي اليه . اما راتبه فانا ادفعه له في كل مدة مرضه ولو كنت مضطراً الى البحث عن سواه لئلاّ يتوقف شغلي

قالت — انا اوكد لحضرتك ان راءول لا يحتاجني طول النهار فاذا غبت عنه بضع ساعات هنا فلا يترتب على ذلك شيء من الضرر بل هو يكون مسروراً لعلمه بان الشغل لم ينقطع

فاطرق الدكتور قليلاً وهو يتأمل في كلمات هذه الزائرة اللطيفة ولا يعلم كيف يجزم بخصوصها وقد شعر بدافع يدفعه الى قبولها هذه المدة . وفيما هو كذلك دخلت الزا الصغيرة الى المكتب وبيدها لعبتها وحالما رأت الزائرة وقفت قليلاً وهي تنظر اليها ثم اقبلت عليها والسرور يطفح على وجهها وقالت — انظري ما اجمل هذه اللعبة

فابتدرها ابوها بقوله— ليس الان وقتك يا الزا فلا تضجي · قال ذلك وهو يعتقد ان ابنته ربما كدّرت الزائرة ولا سيما لانها منزعجة الخاطر مشغولة الفكر بمرض زوجها · غير ان الامر كان بعكس ما زعم فان إيدا (اسم الزائرة) استقبلت الزا بتمام السرور واجلستها الى جانبها واخذت تحادثها وتسمع كلامها بمزيد اللطف والبشاشة واذ رأى الدكتور ذلك زال انقباضه وظهر الابتسام على شفتيه · وبعد قليل قالت إيدا — عفواً ايها الدكتور فان طفلتك قد انستني ما جئتُ لاجله · فماذا تأمر الان ؟ أأذهب ام ابقى ؟

فصاحت الزا — لا بل تبقين لاني احبك واريد ان تخيطي للعبتي ثياباً جديدة

فتبسم الدكتور ثانية وقال لايدا — لم يبقَ لي سبيل الى الرفض مع ان ضميري لا يوافقني علَى ان تتركي زوجك المريض وتشتغلي هنا وربما كان لك طفلٌ يجب الاهتمام به · · ·

فقاطعته ايدا مرتبكة — لا · لا فلا شيء يمنعني عن القيام بوظيفة راعول هنا

فلحظ الدكتور ارتباكها ونسب ذلك الى حداثة عهدها بالزواج ثم قال — حسنٌ فغداً تحضرين الى هنا وتواصلين شغل زوجك

فسرّت الزا بذلك ووثبت نحو ابيها تعانقه وهي تكاد تطير

فرحاً . وانصرفت ايدا بعد ذلك وقد شيعها الدكتور الى رتاج المنزل وهو يتأمل في محاسنها

*

لم يشعر الدكتور فيليب بحاسة السرور والانشراح كالتي شعر بها في الايام التالية فكأنه وُلد ولادة جديدة وقد تجدّدت قواه وصار اقدر عَلَى العمل من ذي قبل فكان ينجز من تاليفه في بضع ساعات ما كان ينجز منه في بضعة اسابيع

لا شك ان سبب نجاحه في هذه الايام انما هو كاتبه الجديد — السيدة إيدا . وقد أُعجب بها غاية الاعجاب وجزم بان وجودها بازائه كان حسنة من حسنات الايام . هذا فيما يتعلق بشغله اما فيما يتعلق بابنته فقد كانت ايدا لها ابرّ من الوالدة وكانت الطفله تُرى في اكثر ساعات الفراغ بين يديها او الى جانبها تحادثها وتطايبها وفي ساعات الشغل كانت عَلَى الدوام تجلس بازائها . وقد رأى الدكتور تحسناً في صحة الابنة ونشاطها ونجابتها . وفي ذات يوم قال لايدا انكِ قد سحرتِ الطفلة بمحبتكِ ولطفكِ ولا اعلم ماذا يحلّ بها عندما تنقطعين عن المجيء الى هنا . ولما قال هذا افتكر بان انقطاعها سيسبب حزناً شديداً له ايضاً فلا يعود يرى امامه صورتها اللطيفة او يسمع صوتها العذب . اما ايدا فلم تجبه بكلمة بل غضّت بصرها حياءً وتلاهت بترتيب

الاوراق التي بين يديها وقد علاها الاحمرار وخفق قلبها خفوقاً شديداً . وفي تلك اللحظة دخلت الزا وركضت نحوها كعادتها وكان الدكتور قد تهيجت عواطفه وقلقت افكاره فقال لايدا — حسبنا اليوم شغلاً فيمكنك ان ترتاحي . فلما سمعت الزا ذلك صفّقت طرباً وقالت — فاذاً نذهب الى النزهة . فبشّت ايدا في وجهها ثم قامت فأخذتها بيدها وخرجت بها والطفلة تطفر سروراً وغبطة وبقي الاب جالساً في مكانه ينظر اليهما ويتنهّد

ومضت ثلاثة ايام بعد ذلك ذاق فيها الدكتور عذاباً اليماً لان افكاره بجملتها كانت متجهة الى ايدا فلم يتمكن من مواصلة الشغل وطالما جهد افكاره فذهبت مساعيه سدى . وكانت الزا الصغيرة تزداد سروراً وانشراحاً كلما انقطع الشغل .

وفي احد الايام كان الدكتور جالساً يملي عَلَى ايدا ولم يلبث ان عاودته افكاره من جهتها وتحرّكت عواطفه فهمّ ان ينهض اليها فيطوّق خصرها بذراعيه ويقبلها لولا بقية رشد الزمته الوقار ونهته عن التعدي عَلَى حقوق الغير فلبث في مكانه وقد امتقع واضطرب ثم تجلد وواصل كلامه اليها ولكن بلهجة جافية خشنة . فاستغربت ايدا منه ذلك ورمقته بالحاظها الفتانة وقالت — عجباً وما الذي دعاك الان يا حضرة الدكتور الى مثل هذه الخشونة التي لم اسمعها منك الا الان ؟

ولما سمع الدكتور كلامها لم يعد يحتمل اكثر من ذلك وقد خشي ان يتملك هواها مهجته ويغلب على قوة جنانه فلو اختلق لها عذراً الان لخانه جلده غداً او بعد الغدولذلك فقد رأى من الحزم ان يضع حداً لهذه التجربة ولايتعرض لمثل هذا التهور فقال — اعذريني ايتها السيدة اللطيفة فانا بهذه الخشونة لم اقصد احتقارك وانما هي صادرة عن اجهاد قواي العقلية ولذا تريني الان في حاجة الى الراحة والانقطاع عن الشغل مدة وقد عوّلت ان ارحل بالزا الى مصر نقضي فيها بقية هذا الشتاء . قال هذا وهو يحاذر ان يلتقي نظره بنظرها

قالت — عجباً وكتابك ؟ افتؤجله الى فرصة اخرى ؟

قال — نعم وسأعود اليه بعد انقضاء هذه العطلة

قالت — حسن وانا من صميم القلب اتمنى لك وللعزيزة الزا سفراً سعيداً . وبما اني الان ذاهبة والزا خارج المنزل فارجوك عند عودتها ان تبثها شوقي وسلامي . ولما قالت هذا ودّعته وانصرفت وهي في اشد حالات الاستغراب والدهشة . ولما توارت عنه عاد الى رشده واخذ يلوم نفسه على ضعفه وعدم تجلده حتى انه لم ينهض لتشييعها ولم يشكرها بكلمة ولم يسألها عن زوجها وقد عدّ ذلك ذنباً كبيراً ولذا وطن النفس على زيارتها قبل سفره والاعتذار اليها وشكرها . ثم نهض وشرع بتجهيز لوازم السفر . وبعد ثلاثة

ايام فرغ من تهيئة كل ما يلزمه فاخذ ابنته وانطلق بها الى بيت راعول وزوجته ليودعهما . ولما قرع الباب فتحت له صاحبة المنزل الذي كان راعول مقيماً في احدى غرفهِ بالاجرة فسألها الدكتور عنه فقالت — انه راقد الان في سريره ولا سبيل الى ايقاظه لانه لم ينم الليلة الفائتة بطولها وقد اشار الطبيب بعدم ازعاجه

قال — لا لزوم لايقاظه فانا اكتفي بمشاهدة زوجته بضع دقائق فهل هي في المنزل ؟

فجحظت عينا المرأة وقالت — زوجته ؟ لعلك واهم يا سيدي وتريد ان تقول اخته

قال — لستُ واهماً وانما اريد مواجهة زوجته السيدة ايدا

قالت — نعم ايدا ولكنها اخته وليست زوجته وهي قد خرجت منذ ساعة لزيارة احدى صديقاتها ولا تلبث ان تعود

قال — وهل تعلمين اين كانا يشتغلان في المدة الاخيرة ؟

قالت — نعم اعرف لانهما يكاشفانني بجميع حوادثهما فقد كان راعول كاتباً عند الدكتور فيليب ولما مرض اشتغلت اخته عوضاً عنه

قال — انا هو الدكتور فيليب

فذُعرت المرأة وتراجعت الى الوراء وهي تقول — تباً لي فقد افشيتُ سرَّهما الى رئيسهما . اما وقد سبق السيف العذل

فاعلم يا حضرة الدكتور ان راعول لم يخدعك بكلامه الا لشدة عوزه لانه قبل ان عرض نفسه عليك بقي بضعة اشهر وهو يجول من مكان الى آخر ساعياً وراء الشغل فلم يتيسر له ذلك . ولما انتهى اليك وعلم بانك تفضل استخدام المتزوجين انبأك بانه متزوج وقد فعل ذلك لضيقه وشدة اضطراره الى القوت . غير ان هذا الكذب الذي ارتكبه لم يكن الاّ ليقوده الى حتفه لانه من ذلك اليوم الى هذه الساعة وهو يتعذّب و يتألم وقد اصابه من تقريع ضميره ما حرمه كل راحة . وهو لا يعلم كيف يعتذر اليك و يتخلص من هذا العذاب الداخلي

قال — يسوءني ذلك جداً فاستودعك الله

قالت — رويدك يا سيدي فلا تلبث ايدا ان تعود واذا علمت بحضورك وانصرافك حالاً فانها ستستاء جداً

قال — ارجوك ان تقدمي لها ولاخيها تحياتي ولا لزوم لبقائي لاني ساخاطبهما كتابةً بما يلزم . ثم سار في طريقه عائداً الى منزله وقد بلغ منه الحنق

وكانت الزا سائرة الى جانبه وهي محنية الراس دامعة الطرف ولما فصلا عن المنزل قال له — لماذا لم تنتظر ايدا يا والدي فانا اريد ان اراها

فقال لها بغضب — لا تسأليني عنها يا الزا بعد الان لان

مربيتك حنة تتكدر اذا علمت انك تحبين سواها . قالت — اما انا فلا احب حنة كما احب ايدا . ثم شرقت بدموعها . فتأثر الاب كثيراً ثم قال — لا تبكي يا عزيزتي فسنسافر غداً الى مصر وهناك تتفرجين على كل شيء

قالت — وهل تسافر معنا الى هناك ايدا ؟ فتنهد الدكتور ولم يجب بكلمة

وبعد قليل وصلا الى المنزل فبادر الدكتور الى مكتبه وكتب رسالة مختصرة الى راءول يشكره فيها على خدمته ويعفيه من هذه الخدمة بتاتاً بدون ان يصرح له عن سبب ذلك وانه مقدم له مع الرسالة ورقة مالية بقيمة راتبه عن ربع سنة

وفي صباح اليوم التالي وصله كتاب مختوم ففضه واذا به رسالة بخط ايدا وعن طيها الورقة المالية المذكورة وهذا نص الرسالة :

« ايها الدكتور المحترم ! ان اخي لا يطمع الآن في صفحك عنه على ما ارتكبه امامك من الكذب غير انه يريد الآن ان تصدقه بانه كذب عليك مضطراً ومدفوعاً بعامل قلة ذات يده وحاجته الى القوت وقد اثر ذلك في صحته واحواله لانه من يوم وطئت قدماه منزلك حتى هذه الساعة وهو في آلام مبرحة وعذاب مستمر . واعلم بانه كان كل يوم يصمم على ان يعتذر

اليك و يخبرك الحقيقة غير انه لم يجد الى الافصاح سبيلاً . امـا وقد ظهر الآن هذا الكذب — الذي لم يضرّك والذي قد انقذ حياتين من مخالب الجوع والفاقة — فانا اتوسل اليك ان تنسى هذه الاساءة وتصفح عن هذا الذنب وانني مرجعة اليك الورقة المالية التي ارسلتها الى اخي عن مدة لم يشتغل فيها ...

كاتبته ايدا »

ولما فرغ الدكتور من تلاوة هذا الكتاب لبث في مكانه شاخصاً متأملاً واخيراً طرحه جانباً وصمم عَلَى الرحيل في اليوم التالي ثم خرج من المنزل لقضاء بعض اشغال ضرورية ولما عاد عند المساء استقبلته الخادمة حنة بهيئة مضطربة وقالت — ان الزا يا سيدي قد هربت وقد بحثنا عنها اكثر من ساعتين فلم نجدها . فارتعد الدكتور وصاح بها — وكيف خرجت من المنزل دون ان تعلمي انتِ والخدم شيئاً ؟ قالت وهي تبكي — اني يا سيدي كنت منشغلة بترتيب حوائج السفر فاغتنمت الزا هذه الفرصة وخرجت خلسة وقد اخبرتني الطاهية انها قالت لها انها ستهرب ولا تسافر معك الى مصر ... ولا شك ان الطاهية لم تعر هذه الكلمات اهتماماً

فلما سمع الدكتور هذا الكلام هلع قلبه وانقلب راجعاً ليبحث عن الطفلة واول ما خطر له انها ذهبت الى منزل ايدا .

وبما ان المسافة الى هناك بعيدة والطرقات عديدة فهي بلا شك قد ضلت ولم تعد تعرف ان ترجع · ولذلك صمم اولاً ان يذهب الى منزل ايدا ليسألها · وكان في طريقه يلتفت الى كل الجهات وقد شعر بالبرد فازداد اضطراباً وخوفاً على ابنته · واخيراً وصل الى المنزل وقرع الجرس بعنف · ولما فتح الباب رأى امامه ايدا بنفسها وقد نظرت اليه بملء الاستغراب ودهشت لاصفرار وجهه · فقال لها — ان الزا قد فرّت من المنزل فهل جاءت الى هنا ؟

فارتعدت ايدا لدى سماعها ذلك وقالت — كلا فهي ليست عندي · ولكن كيف خرجت وحدها واين فتشت عنها ؟

قال — لا شك انها خرجت لتأتي اليك ولذلك فقد بادرت اولاً الى هنا ولم ابحث عنها في محل آخر

قالت — لا تخشَ سوءاً يا حضرة الدكتور فلا يمكن ان تضيع الزا في مثل هذه المدينة ورجال الشرطة منبثون في كل جهاتها فهل انبأتهم بذلك ؟

قال — لا · وسأعود الان وافضي اليهم بذلك غير اني اخشى ان افقد الابنة الى الابد ولا سيما وقد اشتدَّ الظلام · ولما قال هذا قفل راجعاً وهو لا يدري الى اين يذهب اوماذا يفعل · وما كاد يتوارى عن الابصار حتى اسرعت ايدا فخرجت من المنزل وذهبت لتفتش ايضاً عن الطفلة

وبعد ساعتين عاد الدكتور الى منزله والحزن يمزّق صدره وقد ايقن بحلول مصاب كبير لانه لم يظفر بالطفلة وقد مضى ساعتان من الليل والبرد شديد . فجلس عَلَى مقعد في مكتبه يفكر فيما عسى ان يكون وقد غاص في لجة تأملات ومخاوف كادت تفقده عقله ثم انتبه فجأةً كمن افاق من نوم عميق ونهض يريد الخروج ليسأل رجال الشرطة عن نتيجة بحثهم وما كاد يفعل ذلك حتى قرع جرس المنزل فارتخت اوصاله وخشي ان يسمع ما لا يسرّه ولكنه ملك روعه اخيراً وخرج من المكتب فسمع صوتاً يقول اخبروا الدكتور ان الزا عادت وليس عليها من بأس . فقفز بسرعة البرق الى غرفة ابنته فرأى ايدا وقد وسدتها سريرها والطفلة مستغرقة في النوم فهجم عليها يريد ان يقبلها فمنعته ايدا قائلة — دعها ولا تزعجها ياسيدي بل ارجوك ان تستدعي لها طبيباً لئلا يكون البرد قد اضرّ بها وانا اعتني بتدفئتها ريثما يحضر

فخرج الدكتور للحال وامر باستدعاء الطبيب ثم عاد فولج الغرفة وهو ينظر تارة الى الزا واخرى الى ايدا ويهمّ ان يجثو امامها طالباً الصفح عن اساءته اليها وبعد قليل جاء الطبيب ففحص الطفلة واعطى التعليمات اللازمة وانصرف فخرج الدكتور ليشيعه ولما عاد الى الغرفة رأى ابنته مستيقظة وقد استوت في سريرها وطوّقت بذراعيها عنق ايدا وهي تقبلها وتقول لها — كنتُ اودّ

ان اجيء اليك ولكني ضللت الطريق وقادتني قدماي الى الحرش ولما امسيت ناديتك مراراً لتأتي وتاخذيني الى البيت ٠٠ ولما سمع الدكتور كلام ابنته تقدم اليها فقبلها في وجهها ثم التفت الى ايدا وقال — باي كلام اشكرك ايتها الانسة اللطيفة ؟٠ ولكن اخبريني الان كيف وجدتها

قالت — لا شيء يستوجب شكري ايها الدكتور اما كيف وجدتها فقد ذهبت الى الحديقة التي كنت اقصدها مع الزا للنزهة وبحثت عنها طويلاً فلم اظفر بها فأخذتُ اسأل بعض الناس ورجال الشرطة عنها فقال لي واحد انه رأى طفلة تعدو جهة الحرش فبادرت الى هناك وبعد بحث قليل رأيتها نائمة عَلَى الارض عند جذع احدى الاشجار فلففتها بردائي وحملتها وجئت بها الى هنا

وكان الدكتور شاخصاً بايدا يشرب كلماتها شرباً فلما فرغت دنا منها وامسك يديها وقال — انك انقذتِ ابنتي من الموت فهل تصفحين اولاً عما اساتُ به اليكِ ؟

قالت وقد حاولت ان تجذب يديها منه فلم تستطع — لا لا لزوم لهذا الكلام يا حضرة الدكتور فلستَ انتَ مسيئاً اليّ بشيء وانما انا واخي قد اسأنا اليك فاصفح لنا

قال — اني قد احببتك يا ايدا من اول نظرة وكنت كل يوم ازداد شغفاً بك وميلاً اليك وهذا ما دعاني الى التصميم على

السفر من هذا المكان لانجو من التجربة وأتدارك هذا الامر الذي اقلقني شديداً لاني كنت احسبك متزوّجة فلم يكن يسوغ لي اذاً ان اصرح لك بمحبتي واركب هذا العار باغرائي امراة تخص سواي مما لا يفعله الاّ الانذال الاوغاد الذين لا تجري في عروقهم دماء الشرف والمروءة · اما وقد ارتفع الحاجز الان فانا احبك يا ايدا بكل ما فيَّ من القوة وقد وقفت عليك جميع حواسي واريد ان اتخذكِ شريكة لحياتي · فهل ترضين بذلك ؟

فاطرقت ايدا الى الارض وقد اجابه من احمرار وجنتيها وخفقان قلبها ما دلَّه صريحاً على ما في نفسها

وكان الدكتور لم يزل ممسكاً بيديها فجذبها الى صدره ثم طوّق خصرها بذراعيه وقبلها قبلة المحبّ الولهان

*

وبعد ايام قليلة عُقد له عليها وعاشت معه سعيدة مسرورة ·

وكان اخوها راعول قد شُفي من مرضه واقام في منزل الدكتور محفوفاً بالاكرام

اما الزا الصغيرة فقد كان سرورها برابّتها اكثر من سرور ابيها بزوجته الجديدة

التربية والتعليم

﴿غايتهما﴾ ان غاية التربية والتعليم هي : اولاً — انماء قوى الاولاد البدنية والروحية · ثانياً — تسديد وتقوية ارادتهم بمقتضى القواعد الادبية · ثالثاً — ارهاف اذهانهم وتثقيفهم بالمعارف اللازمة : رابعاً — تهذيب خصالهم وخلالهم وسائر عوائدهم واخلاقهم · — · وهذه الذرائع الاربع مع ما يتفرع منها من الشؤون والاحوال لا تُدرك الواحدة على اثر الاخرى بل انما تُنال جملةً وليس دفعةً واحدةً بل تدريجاً حسب تدرّج الطبيعة

﴿الفرق بين التربية والتعليم﴾ — التربية عامة والتعليم خاص : فاما التربية فيقصد بها تأثير المربي في جميع قوى الاولاد البدنية والروحية وخصوصاً في ارادتهم ومشاعرهم الدينية والادبية اي انها تتناول ابدانهم واذهانهم · واما التعليم فيتضمن على الخصوص تأثير المربي او المعلم في قوى الاولاد العقلية · بيد ان المربي سواء كان ابًا او امًا اذا اثّر في جميع طبائع الاولاد الروحية والبدنية تحتم عليه في الوقت نفسه ان يؤثر في قواهم العقلية · وكذلك اذا علمهم وثقفهم عليه في اثناء ذلك ان يؤثر في مشاعرهم وارادتهم اي ان يربيهم · فيتحصل من هنا ان التربية والتعليم شيء واحد وليس شيئين · وانما التربية اعمّ من التعليم وهو فرع منها ·

قال العلامة كورتمان : لا نقدران نعلّم احداً من غير ان نربيه · وقال غيره من كبار المهذبين : لا يكفي ان نعلم الولد القراءة والكتابة بل ينبغي ان نوءسس فيه الميل الشديد للحياة الشريفة ونزرع في قلبه بذور محبة الله لان التعليم بدون محبة الله يشبه سيفاً تقلده مجنون · والخلاصة ان غاية التعليم ان يحصل المتعلم علمٌ بالشيء عمل به او لم يعمل · واما التربية فغايتها ذلك العلم مقروناً بالعمل

﴿ادوار التربية﴾ تقسم مدة التربية الى ثلاثة ادوار وهي :

الاول — التربية البيتية — وهي تجري في البيت بين الاهل وامرها منوط بالابوين ولا سيما الام · وهي تبتدىء من ساعة يولد الطفل الى السنة السادسة او السابعة من عمره

الثاني — التربية المدرسية — وهي تجري في المدرسة على ايدي المعلمين والمهذبين وتدوم في الغالب الى نحو السنة الثانية عشرة او الرابعة عشرة

الثالث — التربية الاجتماعية — وهي تجري عقيب خروج الولد من المدرسة ودخوله في العالم وهي ترافقه سحابة عمره الى آخر ايامه · وامرها منوط بالاهل والحكومة والاصحاب والانسان نفسه

وفي كلٍ من هذه الادوار يجب ان تراعى المطالب التهذيبية العامة والخاصة مراعاةً تضمن نجاحه وتكفل سيره في احسن

الوجوه واصلحها

﴿ نوعا التربية ﴾ معلوم ان الانسان مركب من بدن ونفس و كلاهما مرتبطان ببعضهما ارتباطاًقويًا بحيث ان ما يوءثر في الواحديوءثرفي الاخر ايضاً . فاذا كانت حالة البدن مضطربة ضعيفة اثرت هذه الحالة ولا شك في النفس تاثيراً مزعجاً . و كذلك اذا كانت حالة النفس مبهجة او محزنة اثرت تاثيراً كبيراً في صحة الجسم او اعتلاله . ولما كان موضوع التربية هو الانسان ببدنه ونفسه تعين ان تكون على نوعين ايضاً : تربية بدنية وتربية نفسية او ذهنية . ولكل من هذين النوعين شوءون واحوال ليس هنا موضع تفصيلها

﴿ اهلية الانسان ﴾ الانسان بحسب طبيعته وما ركز في جبلته من الخصال والخلال اهل للنموّ الذهني والبدني . فمن واجبات المربي او المعلم والحالة هذه توجيه قواه الطبيعية وتهذيب خصاله وخلاله وتسهيل الوسائل الخارجية التي تعين نموّه وتبلغ خاصياته ومواهبه الى اكمل غاياتها وتوءهله للكمال الانساني

﴿ تنوع الخاصيات ﴾ ولئن كان جميع الناس بحسب طبيعتهم متفقين في الخاصيات البدنية والنفسية غير ان قوى هذه الخاصيات كثيرة التنوع والاختلاف . فلبعض الناس بنية بدنية او نفسية اقوى مما للآخرين . ولبعضهم بعض القوى اقوى من البعض الاخر . فهذا

ذاكرته اقوى من تصوّره وذاك تصوّره اقوى من ذاكرته هذا ينشغف بمظاهر بعض الحقائق وذلك بعكسه وهلمّ جراً . ولو دخلنا مدرسةً وشاهدنا فيها بضع عشرات او مئات من الطلبة لما رأينا اثنين منهم يتفقان تمام الاتفاق بصفات النفس او بالملامح الخارجية بل لرأينا كلاً من هوءلاء الطلبة متصفاً بمناقب ذاتية تميزه عن سائر رفاقه . ولهذا السبب عينه نرى ان الوسائل التهذيبية لا تفعل فعلاً واحداً في الاشخاص جملة لان ما يفيد الواحد قد يضر بالاخر وما ينفع في احدى الحالات قد لا ينفع في غيرها . فهذا القصاص مثلاً ربما جلب منفعة كبرى لحنا ولكن ربما جلب مضرةً عظمى ليعقوب . وهذا الشغل العقلي او الكتابي الذي فرضه المعلم لتلاميذه ربما افاد فوائد جمة في سبيل انماء اذهان فريق من التلاميذ ولعله في الوقت نفسه كان مجلبة لضجر الآخرين ومدعاة لتوقيف نموّهم وانحطاطهم . وعليه فيجدر بالمربين او المعلمين ان يراعوا في اثناء التربية اخلاق الاولاد وحالاتهم الطبيعية والادبية ومناقبهم الذاتية والاليق بهم خاصةً ان يتنبهوا لتفاوت الاولاد في القوى العقلية ويفرضوا عليهم من الاشغال والدروس ما يناسب سنهم ويلائم طباعهم ويوافق استعدادهم

﴿ اختلاف الموءثرات ﴾ الوسائل الخارجية التي توءثر

في تربية مناقب الانسان الذاتية كثيرة منها :

(١) تأثير الطبيعة او الاقليم . ومعلوم ان الطبيعة او الحالة العامة التي تحدق بالانسان من جميع الوجوه توءثر تأثيراً مهماً في اخلاقه وسائر مناقب نفسه . ولبيان ذلك قابل حالة الاولاد الذين يقضون زمن طفوليتهم وشبابهم في الجبال مع الذين يقضونه في السهول

(٢) الغذآء وما كان من هذا القبيل مما يوءثر في النمو تأثيراً كبيراً لان صحة الجسد وراحة العقل تتوقفان عَلَى تدبير الغذاء . وكل ما في الجسد من لحم ودهن وعظم وقوة وحرارة مُستمدٌّ من الطعام الذي ياكله والشراب الذي يشربه والهواء الذي يتنفسه فالجسد اذاً كله مركب من الطعام والحياة متوقفة عليه

(٣) قدوة الاسرة التي يعيش فيها الولد ومعاملات افرادها بعضهم لبعض واحوال معيشتهم وعوائدهم وصفاتهم الادبية — لكل ذلك تاثير قوي . ومن المعلوم ان الولد مطبوع عَلَى الاقتداء باعمال غيره ولا سيما اهله بل حياته كلها قائمة بالاقتداء لانه لا يملك في اول نشأته ادراكاً يرشده الى ارتقاء درجات الحياة فتدفعه هذه الحالة لملاحظة كل ما يجري حوله . بناءً عليه فالتربية الحقيقية لا تقوم فقط بالتعليمات والارشادات بل يلزم ان تقرن بالمثل الحي الذي هو افعل دائماً من الكلام . قال العلامة باور — يتحتم عَلَى المربي ابان تربيته لغيره ان يربي نفسه حتى يكون مثاله مطابقاً

للارشادات والعظات التي ينطق بها . وقال العلامة لوك — ان الارشادات تبقى بدون ثمر اذا لم تُقرَن بالمثال

(٤) عشرة الولد وتأثير اصحابه واصدقائه ورفاقه . ومعلوم ان الولد ياخذ كثيراً عن اترابه بدون تمييز . قال المثل الانكليزي: اخبرني من عشراوءك وانا اخبرك من انت وقال المثل الاسباني: من يرافق الذئب يتعلم العويّ . وقال الشاعر :

طبعُ الفتى يُسرق من طبع من يصحبه فانظر لمن تصحبُ

(٥) الجمعيات والانشاءات المختلفة والحفلات العمومية كالملاعب والمراقص وغيرها

(٦) الحوادث التي تعرض للمرء في حياته سواء كانت سارّة او محزنة وهي في الحالين توءثر تأثيراً كبيراً في تهذيب طباعه واخلاقه ومناقبه

(٧) الجرائد المختلفة الاغراض والمواضيع وتاثيرها اشهر من ان يُذكر

(٨) واخيراً المدرسة فلها اعظم تأثير في سائر قوى الولد البدنية والعقلية . وهي انما تصلح الموءثرات السيئة وتجعل نمو الولد العقلي في الوجهة الصالحة . وما المدرسة الا اول دعائم التقدم واهمّ اركان العمران . قال احد كبار المهذبين : المدرسة للولد كالشفق الصباحي ففيها تزهو افكاره وتنتعش روحه و يستنير

قلبه وتتروّض اخلاقه ويكتسي حلة بهية ثمينة من الآداب . بيد ان المدرسة لا تقوم بواجباتها ولا تفيد الفائدة المقصودة منها الاّ اذا كان معلموها نجباء ماهرين بفنّ التعليم والتربية قائمين باعباء وظيفتهم التعليمية التهذيبية جادّين في سبيل نشر الوية الكمال والفضيلة والآداب

هذا كلام اجمالي اثبتناه هنا توطئة لما سيجيء من الفصول والمقالات المفيدة في موضوع التربية والتعليم وكل آتٍ قريب

اثر الطبيعة في الانسان

ذكرنا في الجزء الرابع والعشرين من المجلد الاول من هذه المجلة اثر الطبيعة في الانسان من حيث الجسم وما يطرأ عليه من التغيير والاختلاف ونحن باسطون الان هذا الاثر في احوال العقل والقوى العقلية بقدر ما يسمح لنا المقام

لا جرم ان المشاهد الطبيعية المختلفة تؤثر تأثيراً مختلفاً في سائر احوال العقل البشري تبعاً لحالة هذه المشاهد ومكيّفاتها . وبهذا الاعتبار تُقسم الطبيعة علَى العموم الى قسمين او مشهدين كبيرين احدهما الطبيعة العظيمة العجيبة والآخر الطبيعة المعتدلة . بعض الاصقاع ترى كل شيءٍ في الطبيعة جليلاً عظيماً : فالجبال تناطح السماء . والانهار غزيرة المياه تصبّ في بحار كبيرة .

والاحراش كثيفة منتشرة في مجال واسع تزينها الاشجار الكبيرة المختلفة الاجناس · والحيوانات قوية شرسة مثل الفيل والكركدن والنمر والاسد والثعبان · تهب فيها في اكثر الاحيان رياح عاصفة شديدة وتظللها السماء المدهشة المزينة بالملايين من النجوم المتلألئة البهية · فالانسان القاطن صقعاً عظيماً مثل هذا يظل طول حياته مندهشاً حائراً محتقراً نفسه امام تلك العظمة والجلال بادياً عليه الضعف الشديد بازاء تلك القوة الهائلة فيعتقد على الدوام بانه تراب فانٍ ودودة حقيرة ويخامره الخوف الشديد من اسرار هذه الطبيعة وقواها ونفوذها فيغلب على عقله كل نوع من التصورات المنافية للحقائق والخرافات المختلفة ويصير مؤمناً بسائر الترهات والخزعبلات وتكثر عنده العقائد السخيفة فيعظم جميع قوى الطبيعة ومظاهرها فيعبدها ويقيم لها الهياكل والتماثيل ويقدم ابناء نوعه ضحية لها وهو ينسب كل مشهد في الطبيعة لقوة الالهة · فاذا طغى النهر قال ان اله النهر مضطرب فيسارع الى استعطافه · واذا حفت اشجار الحرش ارتعد وسجد وصام وصلى · واذا ارعدت السماء ارتعدت لذلك جميع فرائصه وخر على وجهه - اثً التراب على راسه ولاطماً وجهه منادياً بالويل والثبور · · الى غير ذلك من المشاهد السخيفة التي يتأثر لها العقل السليم · وهذه الحال تسوقه ولا جرم الى ان يكون

متفرغاً لعبادة قوى الطبيعة قليل الاهتمام بنفسه ضعيف حركة الفكر والارادة وسائر القوى العقلية سريع التقلب كثير الاهواء قاعداً عن السعي والعمل تغلب عليه الصور الخيالية فيخلد الى الاوهام والاباطيل ويسترسل الى غير ذلك مما يعود عليه بالوبال والدمار. وهذه حالة اكثر الشعوب القديمة القاطنة اصقاعاً كالتي وصفناها مثل الهنود القدماء وغيرهم من الامم التي يشهد لنا التاريخ بانحطاط احوالها العقلية الى درجة قصوى

وبعكس ذلك الطبيعة المعتدلة فانها لا تضغط على الانسان ولا تحط من تصوراته ولا تفزّع قلبه بالمخاوف الباطلة ولا تحمله الى عالم الاسرار والغرائب بل تفسح لعقله المجال فيكثر من التطال الى المعقولات والبحث عن كنه طبائع الاشياء وغير ذلك من المطالب المفيدة. وهكذا تنمو عقول اهل الطبيعة المعتدلة بسرعة متواصلة فيكبر اعتقادهم بانفسهم والاعتماد عليها وعلى قواهم الخاصة وتغلب فيهم الاميال الى العلم والحياة. اما اعتقاداتهم ومشاعرهم الدينية فلا يتخللها الخوف والهلع والتسليم الاعمى ولا تكون آلهتهم بهذا المقدار قادرة على كل شيء لانهم يشعرون في انفسهم بحرية بالنسبة الى القوى العليا وتقل عندهم تلك الاعتقادات والخرافات الفائقة الطبيعة وتنمو سائر قواهم ويكونون في الغالب تربة صالحة لاسمى مراتب العمران. ومثل هذه الاحوال والشروط

وجدت مثلاً في بلاد اليونان وغيرها من البلدان المعتدلة الطبيعة

اجل ان نسبة ارتقاء العمران كله الى الطبيعة امرٌ اغلبي لا يطرد صدقه عَلَى جميع الامم علَى السواء ولكن مما لا ريب فيه انّ لهذه الطبيعة اثراً عظيماً في حالة العمران وارتقائه وعَلَى الخصوص في بدء حياة سائر الشعوب التاريخية حينما كان الانسان علَى فطرته الاولى ولم يسلحه التمدن والعلم بالاسلحة القوية لمكافحة الطبيعة والغلبة عليها . واما الان وقد انتشرت العلوم وعمّت وسائل العمران فصار اثر الطبيعة في نموّ الانسان العقلي اقل شأناً واحط منزلة وصارت الطبيعة في الدرجة الثانية واما في الدرجة الاولى فصارت الحالة الاجتماعية ونوع التربية وانتشار العلم وتأثير الانسان في الانسان . غير ان الطبيعة مع هذا ظلت عاملاً قوياً في حياة الانسان العقلية لانها تشيد لها دعائم النموّ وتوفّر لها سبل النجاح والارتقاء اذا كانت معتدلة وبالعكس اذا كانت غير ذلك

ومن ينعم النظر في المؤثرات المختلفة التي تفعلها الطبيعة في جسم الانسان وروحه علم جوهر دواعي حب الوطن اي حب المكان الذي انقضت فيه سنو السعادة الاولى . لان الطبيعة تتجسم في الانسان وتنبض في سائر عروقه وما الانسان الاّ نبتة في تربته الوطنية ففيها اصوله وعروقه وهي سبب غذائه ونمائه ولذلك يشتدّ كثيراً عَلَى الانسان حينما ينفصل عن وطنه

ويهاجر الى وطن آخر. وما اشد حنين المرء الى وطنه وهو في الغربة. قال الشاعر:

كم منزلٍ في الارض يألفه الفتى   وحنينه ابداً لاول منزلِ

*

الطبيعة ام والانسان ولدها بمعنى انها تطرفه بما عندها. فاذا كانت غنية متنوعة كان ما تقدمه للانسان جزلاً متنوعاً ايضاً. واذا كانت معوزة قاحلة لم تمنحه الا ما عندها. واخيراً اذا كان فيها ما يضر بحياته اضطر ان يدفع هذا الضرر بسائر الوسائل الممكنة ليتخلص من مؤثراته وينجو من سلطة هذه الطبيعة ويسود عليها. ولهذه الغاية انشىء العمران الذي هو حماية الانسان من فواعل الطبيعة المضرة وسعيه لغلبتها والتسلط عليها وتسخيرها فيما يشاء

وهذه مقاومة الانسان للطبيعة ولئن كانت عادلة وضرورية بيد انها قد تتعدى الحدود اللازمة. فالانسان بمكافحته للطبيعة يقيم في ما بينه وبينها حاجزاً حصيناً لانه يريد ان يتحول عنها الى عالم آخر غير طبيعي اعني به المدن والحياة المدنية والتمدن المدني. ولسنا نقصد بهذا المقال ان ننكر فضل المدن في نمو العمران ولكننا نريد ان نبين ان هذا العمران المدني هو اصطناعي محض لان المدينة كما لا يخفى تحرم ساكنيها كثيراً من الخيرات الطبيعية الجوهرية كالنور والهواء والسعة وتحصرهم في اماكن ضيقة حيث

تحرمهم الحركة الحرّة النافعة . وما سكنى المدينة الا سجن اختياري يحبس الناس انفسهم فيه لاجل خيرات وملاذ المعيشة العامة . ولا حاجة للدخول في تفصيل منافع المدن لتيسير العمران ولا بيان وفرة المضار الناجمة عنها للسكان ولكن لا بدّ لنا من الاشارة هنا الى تلافي هذه المضارّ عن الاحداث . فان المدينة فضلاً عن المضار المذكورة تضرّ ايضاً بالاحداث اضراراً اخرى لانها لا تحرمهم فقط النور والهواء النقي والسعة بل تجعل ترتيب معيشتهم اصطناعياً الى درجة قصوى وتحرّك فيهم على الدوام المطالب المختلفة للملابس والمأكولات وتولد فيهم الطمع وحب الملاذ وسائر ما هنالك من البواعث والاسباب المضرة بصحة ابدانهم وعقولهم . فالولد المدني سريع نشيط فائر بديهي ولكنه ضعيف سقيم جبان جاهل للمشاهد الطبيعية باسرها فهو بهذا المعنى مظهر اصطناعي خاص وهو اشبه بزهرة نابتة في غرفة — في وعاء . فالنور والهواء — غير نور الغرفة وهوائها — يضرانه

وعليه فالافضل كثيراً ان ينمو الاحداث خارج المدن — في الضيع لان الضيعة تمنحهم ما لا وجود له في المدينة وخصوصاً النور والهواء والسعة وهي خالية من الاشياء الاصطناعية وسائر المضار الاخرى . واحرى بدور الحياة الاول ان يقضيه الاحداث في الضيعة او في ارباض المدن واطرافها . واذا لم يتيسر هذا ولا

ذاك فيتعين اعداد وسائل أُخر لتدبير معيشة الاحداث ولئن كانت هذه الوسائل احط صلاحية وجدوى عن الضيع — كالمصايف مثلاً . وان كانت هذه ايضاً صعبة المنال فينوب عنها بعض الشيء الجولان المتواصل في ظاهر المدينة لتعريف الاحداث بالطبيعة. نعم ان هذا التعريف قصير وسطحي ولكنه احسن من عدمه. واذا لم يكن الجولان مستطاعاً ايضاً فعلى البلديات والدوائر المدنية الأُخر ان تقيم في بعض احياء المدينة حدائق و بساتين وغيرها مما يماثلها من الانشاءات المفيدة وتجعل فيها العرصات الفسيحة الحسنة ليتمكن الاولاد من قضاء بعض الوقت فيها باللعب المفيد والتعرف بانواع النباتات فضلاً عما يكون من وراء ذلك من المنافع الاخر لسائر السكان

*

يتحصل مما اوردناه في هذه النبذة — هنا وفي الجزء المذكور آنفاً من السنة الماضية — ان للطبيعة اثراً مهماً في كل منفعل وان الانسان بسائر اعماله واحواله البدنية والعقلية والادبية خاضع لاحكام الطبيعة ونواميسها بالرغم عن كل الوسائل العلمية والعمرانية. وافضل الاقاليم طبيعة لسكنى الانسان واحسنها واسطة لنجاحه وارتقائه الاقاليم المعتدلة. واما الاقاليم الباردة والحارة فانها بهذا الاعتبار احط منفعة واقل شاناً. غير ان الباردة منها اسلم واصلح من الحارة والله اعلم

المرأة

﴿ قول لها وقول فيها ﴾

انما همّ المرأة الساقطة ان تحمل غيرها على السقوط لا ان تجتهد للعود الى مركزها المفقود (دار جنس)

تُعرف المرأة بشدّة خوفها من كل شيء مخيف على انها يجب عليها الاّ تخاف الاّ من نفسها لان في نفسها اشياء مرعبة هائلة (مدام دي ريو)

انما الحب كالخوف يُري المرأة الطلاح صلاحاً والاكاذيب حقائق (بلزاك)

اذا اردت ان تقنع امرأة بصحة شيء او صلاح مبدأ فلا تتعب نفسك ولسانك لان المرأة لا تقتنع. على انك اذا اردت ذلك فاسعَ لكي تميل المرأة الى مبداك بعواطفها (لاكلو)

ان المرأة التي تحب تخشى دائماً ان يموت حبها في قلب الحبيب ولذا فانك تراها دائماً غيورة قلقة البال مضطربة تنقم على الذبابة اذا وقفت على يد من تحب. اما المراة التي لا تحب فلا شيء يقلقها وهي دائماً تترنح بكبريائها وتفتخر بان لها بين الرجال عبدة امناء (مدام دي ريو)

اني اضع في مصاف القديسين بلا بحث ولا جدال كل امرأة

تثبت لدى مجمعي ان زوجها لم يتذمر منها قط

(البابا سيكستوس الخامس)

اذا كانت المرأة تحب الرجل شفقةً عليه وحناناً نخيرٌ له ان يترك حبها ولا يهتم بها اذ ليس من الفخر والشرف ان يعيش الرجل من الصدقة والاحسان (لاروشفوكو)

ان الشفقة في قلوب النساء خطوة اولى نحو الحب · فهي تعد القلب لعاطفة اقوى منها · فالمرأة متى شفقت على رجل قادتها الشفقة الى الصداقة وذهبت بها الصداقة الى الحب · فعلى الرجل ان يحتفظ بالمرأة التي تبدي له في بادىء الامر شفقةً وحناناً

لا شيء اقرب الى الحب من الشفقة (بلزاك)

يخيل للمرأة انها تحب ساعة شعورها في نفسها بحنان وشفقة

(مدام دي ستال)

لا تتذمرنّ المرأة من الرجل · لان الرجل يكون كما تشاء هي وتريد (ديكلو)

اشربوا من خمرة الحب واسكروا ولكن حذار ان تشربوا دائماً من كأس واحدة ففي قعر الكاس ثمالة توءذي (هوراس)

يجب ان لا يستسلم الرجل كثيراً الى ما يدعوه ملذة · لان الملذات المتواصلة تبعد السعادة (مدام نكر)

(الوطن)

*

صلاح المرأة مثل شجاعة الجبان

في كل عشر نساء تسع حواسد

اذا كانت المراة فتاة فهي الاهة فاذا شاخت مسخت قرداً

لا يعد ناب الافعى وحمة الزنبور شيئاً في جنب السم المكنون في قلب المرأة

ثلاثة اعشار جمال النساء جمال حقيقي والسبعة الاعشار الباقية تبرّج ولباس

قد ترتقي المراة الى المناصب ولكنها تلبث امراة

(لبعض حكماء الصين)

ان المراة انما وُجدت لترضي الرجل . فاذا تعين عليه ارضاوءها فهذا الارضاء هو دون ذاك ويكفيها منه لترضى مجرّد كونه قوياً

(روسو)

ان المراة قمر الرجل تنعش فوءاده بحسن تكوينها البديع وتبدّد ظلمات اشجانه ببهجة نورها الرائع السنيع . فهي تدور حوله دوران القمر حول الارض وتتبعه اتباع الظل لتكون له رفيق خيرٍ وسمير سلوان وعشير انسٍ . وانما هو قوّام عليها بما له من افضلية القوة ومزية الرجولية فلا تبرح تابعة وهو المتبوع (لبعضهم)

(حديقة السوسن للعنحوري)

*

ان الطبيعة ميزت الرجل بالقوة والعقل . فليس لسلطانه من حد سوى تلك القوة وذلك العقل . وخصت المراة بالبهجة والرونق والجمال فسطوتها تزول بزوالها (منتسكيو)

ان الامم الغابرة وان تشعبت مذاهبهم وتضاربت اقوالهم في بيان حقيقة المراة فهم من حيث عدم المساواة على وفاق واجماع وكلهم يرمون الى غرض واحد نفصح عنه بما معناه — « ان في السماء كواكب ثانوية تابعة ليس لها من شأن سوى الدوران حول كواكب اسمى منها على سبيل الخفارة كما هو شان القمر حول الارض » فالمراة على راي القدماء قمر الرجل . وقد يكون للكوكب الواحد جملة اقمار كما للسيار المعروف بالمشتري

(ليكوفه)

*

حسب المراة قوم آفة	من يدانيها من الناس هلك
ورآها بعضهم امنية	فاز بالنعمة فيها من ملك
وصواب القول لا يجهله	حاكم في مذهب الحق سلك
انما المراة مرآة بها	كل ما تنظره منك ولك
فهي شيطان اذا افسدتها	واذا اصلحتها فهي ملك

(اديب اسحق)

—.—

ان فضيلة النساء تتوقف دائماً على سلوك الرجال ...

(مدام دي ستال)

ان فضيلة الرجال تتوقف على سلوك النساء ... (روسو)

ذكرى فتاة مقدونيا

ارسل الينا حضرة الشاعر المجيد صديقنا اسعاف افندي النشاشيبي هذه القصيدة الغراء وكان قد نظمها في اول عهد الدستور فآثرنا نشرها لما فيها من الطلاوة والبلاغة . قال حفظه الله :

اخطري اليوم في الربوع اختيالا   لا تخافي من العدو اغتيالا
لا تخافي من كيده لا تخافي   ان كيد العدو ولى وزالا
قد ابدناه بالسيوف المواضي   وتركناه عبرة ومثالا
وازلنا في الملك كل فساد   وشفينا ما كان داء عضالا
وحمينا حماك من كل باغ   رام منا ومنك ما ان ينالا
حسب القوم نائمين وخالا   كان هذا الحسبان منه ضلالا
راح يبغي لك الغوائل كيما   يهلك الملك والورى والمالا
فهرعنا اليك من كل اوب   وكشفنا الخطوب والاهوالا
قد اراد الذي اراد ولكن   خيب الله والظبى الامالا
نسي الكامنين في سلنيك   يرقبون الشوءون والاحوالا
نسي الاسد انوراً ونيازي   واخا المجد شوكت المفضالا

فاتوه مزمجرين غضابا واذاقوه شدة ووبالا
تركوا الاهل والديار وساروا يفرعون الهضاب والاجبالا
وانتحوا ظالم البلاد ومردي الناس بغياً والناكث الختالا
انزلوه عن عرشه مستكينا واذلوه في الورى اذلالا
قوضوا من صروحه كل عال فغدت بعد نضرة اطلالا
هلك الظلم يوم راح وولى واتى العدل باهراً مختالا
تلك عقبى البغاة في كل دهر فاحذرن ان تؤول هذا المآلا

*

قد طلبت الدماء تجري بحوراً فاجبنا ولم نكن بخالا
قلت اني لا انزل الربع حتى انظر الدم هامياً هطالا
هذه عادتي وذلك دأبي لن تروا دهر كم لعادي انتقالا
فرايت الذي رايت وشاهد ت بعينيك يا فتاة النضالا
قد اتينا ما تطلبين وزدنا وجرى الدم في فروق وسالا
فاز يلي النصيف عن وجهك البا هر حسناً وعانقي ذا الهلالا
انعشيه فقد تقوس مما راعه يا ابنة الكرام وهالا
كان يرجو الوصال منذ زمان فأبى الدهر ان ينال الوصالا
انه اليوم يا فتاة هلال فاصحبيه وبلغيه الكمالا

*

ايها الشرق طال نومك فانهض للمعالي وصافح الاقبالا

اهجر الجهل والعماية هجراً   واعد للعلم مرقلاً ارقالا

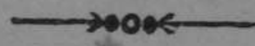
انح ربع الاخاء نحو مجد   وانبذن الشوءون والاذحالا

اترك .... يبكي   واحتفل بالفتاة شرقُ احتفالا

تخذوه يا شرق للظلم سبلا   واضلوا وحرفوا الاقوالا

وسعوا بينه وبين فتاة ال   قوم بغياً وآكلوا ايكالا

قصدوا هدم سورها فبنوه   واتوا كي يقصروه فطالا



القطب الشمالي والرحالة بيري

في اول ايلول الماضي تناقلت الاسلاك البرقية رسالتين برقيتين واردتين من الشمال الاقصى احداهما موءرخة في اليوم الاول من الشهر المذكور ومفادها ان الدكتور كوك قد اكتشف القطب الشمالي في ٢١ نيسان سنة ١٩٠٨ ورفع عليه العلم الاميركي الكوكبي والثانية موءرخة في ٧ ايلول ومفادها ان المكتشف الحقيقي للقطب هو القومندان بيري وانه قد اكتشفه في ٦ نيسان سنة ١٩٠٩ وركز عليه العلم الاميركي ايضاً

ولقد ذكرنا في الجزء الاخير من السنة الماضية من النفائس هذين الخبرين ونشرنا لمعة من سيرة كوك· ونحن باسطون الان شيئاً من اخبار بيري

فبيري هو رحّالة شهير خبير بجهات الشمال الاقصى اكثر من غيره وهو اشهر من كوك في بعوثه ورحلاته واكتشافاته التي شرع بها منذ سنة ١٨٨٦ وما زال منشغفاً بها الى حدّ تصغر عنده جميع الاخطار والاهوال وقد بدأ في اسفاره من غرينلاندا فطافها مراراً عديدة واكتشف جميع جهاتها وحدودها وهو اول من اقام الادلة على كونها جزيرة . وكلّ ما علمه الجغرافيون من حدّ هذه الجزيرة الشمالي مستمدٌ من بيري . ولذلك فلما بعث برسالته البرقية المتضمنة خبر اكتشافه للقطب لم يرتب الجمهور في صدق كلامه كما ارتابوا في صحة كلام مناظره كوك . وما كوك في الحقيقة الاّ طبيب وبصفته طبيباً سار الى جهات القطبين الشمالي والجنوبي في بعوث مختلفة وقد ساح ايضاً في غرينلاندا . ويقول بعض عارفيه انه يعرف الجهات القطبية معرفة تامة وانه ضليع من لغة الاسكيمو سكان تلك الاصقاع المتجمدة . غير ان جمهوراً كبيراً يعترضون عَلَى هذه الدعوى ويقولون ان كوك لا يعرف شيئاً من غرينلاندا ولا من لغة الاسكيمو وانه غير خبير بجهات القطب . وقصارى القول ان الناس بعضهم يصدق كلام كوك والبعض الآخر يدحضه واما بيري فالجمهور عَلَى انه صادق في دعواه

ابتدأ بيري يجهز نفسه لهذه الرحلة من سنة ١٩٠٦ وقد قضى سنتين وهو ساعٍ في جمع النفقات اللازمة لها وكان الجميع

يعضدونه ويقدمون له مطلوبه بكل سخاء · اما كوك فلم يجمع شيئاً لاجل رحلته غير انه يدفع هذا الاعتراض بقوله انه انما قام برحلته على نفقة المثري برادلي الذي جهزه بكل شيء وقدم له سفينةً اوصلته الى اخر نقطة من الشمال الاقصى وهي محطة انوتوك · وانه قد التقى في طريقه بجماعة من الاسكيمو فاخذ منهم ما يلزمه من المزالج والكلاب والمؤونة والرجال وواصل طريقه الى ان بلغ القطب · ففي ٢١ نيسان سنة ١٩٠٨ كان في عرض الدرجة ٨٩ والدقيقة ٥٩ والثانية ٤٦ اي على مسافة ١٤ ثانية من القطب ولم يلبث بعد ذلك ان قطع هذه المسافة القصيرة ووصل القطب ورفع عليه العلم · وانه عاد الى العالم المتمدن قبل بيري ونشر خبر اكتشافه ولما عاد بيري وسمع هذا الخبر قام له وقعد وقد انكر على مناظره ذلك كل الانكار وقال انه لم يرَ في القطب لا علماً ولا اثراً لانسان وان المؤونة التي اخذها كوك من الاسكيمو كان بيري قد اعدها لنفسه وايس له

وبسبب هذه المناظرة قام جدال عنيف بين الجمهور وانقسموا حزبين احدهما اطلق عليه اسم بيريين والاخر كوكيين ولا يزال الحزبان يتجادلان ويتناقشان حتى الان

ومهما يكن من امر هذين الرحالتين فاكتشاف القطبين لم يكن الاّ تحقيقاً علمياً جغرافياً ولم يات بتلك الفوائد والغنائم الجزيلة

التي كان يزعم بوجودها الجم الغفير من السياح واهل البحث فقد زعموا بوجود برّ حول القطب كله معادن ثمينة وقال غيرهم ان هناك فردوساً ارضياً وليس ثمّت من فصول السنة الاّ الربيع الدائم الى غير ذلك من الاحلام والتخيلات. والنتيجة كانت ان بيري او كوك او كليهما لم يجدا هناك الا الجمد والماء وان النواحي القطبية كلها جزء من الاوقيانوس المتجمد الشمالي وليس امام الواقف في القطب من الجهات الاّ الجنوب فقط كيفما دار واتجه فليس هناك لاشرق ولا غرب ولا شمال

خواطر

اذا كنتَ ذا نقيصة — لا تتعب في اخفائها . واذا كنت ذا فضيلة — لا تهتم في اظهارها . فالفضيلة تظهر والنقيصة لا تخفى

اصلح في نفسك ما تراه من المعايب في صديقك وهي احسن طريقة لاصلاح ما به . لان الرجل مرآة من يرافق

الدين الصحيح يهذب العقل والقلب . والعلم الحقيقي يوفق بينهما . والدين بغير العلم حقل بلا زرع . والعلم بغير الدين زرع في الصخور

الترتيب نصف العمل في كل شيء

اذا اردت ان تفوز في الدنيا فاجتهد في ان تُحَب واحذر من ان تَحب . فان الحب قوة لا تُغلب الك او عليك

قال المثل الفرنساوي — الحزن الشديد اعظم دليل الى الحكمة

لا يطول الوقت الاّ عَلَى من لا يعرف ان يستفيد منه

متى تقدم الشيوخ في السن وجب عليهم ان يطيعوا اولادهم

اذا ابغضت انسانًا فادعُ له بطول العمر

اذا لم يكن للسارق سبيل للسرقة ظنّ نفسه عفيفًا

اللص يسمي باسم الله وهو يحرق البيت

من احبّ عن عقل فكلما زاد حبًا قلّ بالحب مجاهرة

اذا كان المتكلم دونك منزلةً فلا تهزأ بحقارته بل دعه يخجل من نفسه . لا تطارحه لكي يفتخر ولا تغضب عليه

الرجل العادل محاط بالاعداء — س . س

✵ اثر قديم ✵

في تور (احدى مدن فرنسا) كنيسة قديمة العهد يقال انها شيدت في القرن الحادي عشر بعد المسيح . ففي اثناء ترميم هذه الكنيسة من مدة قريبة اكتشفوا نفقًا سريًا يوءدي الى ردهة فسيحة مستديرة وجدوا بازاء بعض جدرانها عظامًا بشرية

وجنازير حديدية ضخمة ومنضدة عليها سوط بسبعة اطراف وهو الذي كانوا يستعملونه آلة للعذاب وبالقرب من المنضدة وجدوا كتابين خطيين تاريخ احدهما سنة ١٤٨٥ وهو مكتوب باللغة اللاتينية ويتضمن الحكم بالاعدام علَى « الراهب برونو كالي » لتأليفاته الهرطوقية ولانحيازه الى فرقة « الخدام السود » ويُراد بذلك ان هذا الشهيد المجهول قد قضى نحبه في ذلك السجن السري « لعلاقته مع الشيطان واستخدامه السحر والقوى الخارقة .. » واما الكتاب الثاني فكله علامات واشارات سرية وقد استدعي الاستاذ فلتنر من باريس ليحل رموزه : وقد قال هذا الاستاذ بعد البحث والتحري انه كتاب طبي كيماوي فيه كيفية تحليل وتركيب الادوية والسموم القتالة وتسميم الاسلحة والقفازات وغير ذلك من الادوات التي كان يستعملها اصحابها للفتك بالناس بطريقة سرية كما جرى مثل ذلك للملك البرت الذي لم يبقَ على العرش الاّ يومين فقط وقد قضى في تور مسموماً بقفازاته

منشورات

﴿ فن الطيران ﴾

اصبح الطيران فناً رسمياً يدرَّس في المدارس الجامعة الكبرى

كجامعة غيتنجن في المانيا حيث احدثت له دروس خاصة عهد بها الى بعض الاساتذة الماهرين

البريد الجوي

بين نيو يورك و بوسطن بريد يومي تنقله المناطيد بصورة مطردة كل يوم و كذلك تنقل الركاب بين المدينتين

نظام الطيران

قد كثرت ادوات الطيران في هذه الايام وهي لا تزال تزداد وتنتشر مع الايام بحيث اصبح من المتحتم ان تسن لها القوانين والنظامات التي لا يجوز لها ان تتعداها وقد وضعت احدى الجمعيات الفرنساوية للطيران مجموعة قوانين ستعرضها على المحكمة الدولية في لاهاي للموافقة عليها . ومن جملة هذه القوانين مادة لملافاة الاصطدام بين المناطيد واخرى لحفظ المسافة بينها واخرى لتنويرها ليلاً وما شاكل ذلك

جائزة في علم الطيران

عينت حكومة بلجيكا سباقاً لاحسن المؤلفات في علم الطيران وضربت موعداً لذلك اول اذار من سنة ١٩١١ . وقد عين الملك ليو بولد الثاني جائزة قدرها ٢٥،٠٠٠ فرنك لمن يحكم له بقصبة السبق في هذا الفن

﴿ امرأة طيّارة ﴾

اخذت النسآء يبارينَ الرجال في ميادين الهواء · فان الانسة مرفان الفرنساوية تمكنت من ان تجتاز بالمنطاد بحر المانش من فرنسا الى انكلترا

﴿ شيخ الحوذيين ﴾

بين جماعة الحوذيين (سائقي العربات) في موسكو شيخ بسن المئة والثالثة من العمر نمرته ٣٨٨٨ وهو احدب الظهر ابيض الشعر واللحية قوي البدن وقد مرّ عليه ثمانون عاماً وهو يسوق العربات وقد رأى بعينه حريق موسكو سنة ١٨١٢ · وهو يشتغل حتى الان بهذه المهنة ويحصل رزقه ورزق عياله

﴿ مكاتبو الجرائد في الصين ﴾

جرت عادة اصحاب الجرائد في كل مكان انهم اذا رفضوا طبع مقالة او رسالة في جرائدهم لاحد المكاتبين وكتبوا له في ذلك فيكون اعتذارهم علَى الغالب اما لعدم تمكن صاحب الجريدة من طبع المقالة لسبب ما او لكثرة المواد او لغير ذلك من الاسباب المعقولة · اما في بلاد الصين فاذا رفض صاحب الجريدة مقالة لاحد المكاتبين فانه يكتب له ما معناه « يا اخا الشمس والقمر الفاضل المجيد ! تنازل وارمق عبدك الذليل المنطرح عند اقدامك والذي يقبل الارض التي تطأها ويسألك نعمة وشفقة واذناً له في

الكلام ! اننا بكل غبطة وسرور قرأنا مقالتك ونقسم بعظام اجدادنا وآبائنا اننا لم نقرأ طول حياتنا شيئاً من امثال هذه المقالة الرنانة العجيبة · فاذا طبعناها نخشى ان يامر جلالة الامبراطور العظيم ان لا نطبع سواها او لا نطبع الا ما يماثلها حسناً و بلاغةً · ونحن بلا شك لن نتوفق الى مثلها الا بعد مرور لا اقل من عشرة الاف سنة وعليه فنحن نعيد اليك مقالتك مشفوعة بدموع اليأس والقنوط وعشرات الاف من الاعذار التي نرجو ان تكون مقبولة · وفي الختام المس بيدي قدميك راجياً ان ابقى عَلَى الدوام عبدك ···»

﴿ فضل الهدايا ﴾

استغرب رجل تذكر زوجته تاريخ ولادة كل اولادهما فقالت له — الامر بسيط فيوم وُلد اول ولد وكان في سابع آب اهديتني عقداً من اللوءلوء و يوم وُلد الثاني وكان ٢٠ حزيران جئتني بكتاب صلاة مذهب منقوش عليه اسمي · و يوم وُلد الثالث و كان سادس ايار انما اذكره لانك غضبت فيه من قائمة حساب الخياطة الذي لم تستطع دفعه حتى اليوم · واما طفلنا هذا فقد نسيت تاريخ ولادته لانك لم تهدني في ذلك اليوم شيئاً

﴿ شحاذ ولورد ﴾

اللورد — عجباً كيف تسألني صدقةً وانت لا ترفع قبعتك عن راسك دليلاً عَلَى الاحترام ؟

الشحاذ — اعذرني يا سيدي الشريف فاني لمحت في آخر الشارع واحداً من رجال الشرطة فاذا رآني اكشف راسي يجزم باني شحاذ فياخذني الى السجن . اما اذا رآني اخاطبك على هذه الصورة فلا يرتاب بي وربما ظن اني واياك صاحبان قديمان ...

﴿ محام وقاض ﴾

وقف محام امام قاض وكان المحامي قصيراً نحيفاً فسأله القاضي — ما مهنتك ؟ اجاب — محام . قال — أأنت محام ويمكنني ان اضعك كلك في جيبي ؟ قال — اذن يصير في جيبك عقل اكبر مما في راسك . فخجل القاضي وصمت

﴿ مبارزة غريبة ﴾

القائد مادليان والمركيز ريفار الفرنسلويان تخاصما مرةً وطلب الاخيرُ الاول للبراز . فقبل القائد هذه الدعوة وارسل الى خصمه مجموعة ادوات جراحية . وسبب ذلك هو ان هذا الرجل كان في احدى حروبه قد فقد احدى رجليه . ولما كانت اصول البراز تتقاضى مساواةً وعدلاً فيما بين المتبارزين فهو يطلب من خصمه ان يقطع رجله بهذه الادوات الجراحية ثم يخرج لمبارزته . وكانت نتيجة ذلك ان المركيز وشهوده اعتبروا الطلب عدلاً ولم يلبث الخصمان ان تصالحا

﴿ آثار ادبية ﴾

لسان الحال — اجتازت هذه الجريدة المشهورة عامها الثاني والثلاثين وهي قائمة بخدمة الوطن خدمة جليلة يعترف لها بها الجميع و يقرّون بفضلها على البلاد وتوخيها كل نفع الامة مع اعتدال في الخطة · فنشكر همة صاحبها الفاضل ونمحضه خالص تهنئتنا ونرجو لهذه الجريدة الوطنية الغراء دوام الاشراق في سماء الآداب

الهلال — هي المجلة التاريخية الاجتماعية لصاحبها حضرة المؤرخ المحقق جرجي افندي زيدان صاحب المؤلفات التاريخية العديدة التي لم يبقَ احد من قرآء العربية الاّ وقرأها او قرأ بعضها · وقد دخلت الان هذه المجلة الانيقة في عامها الثامن عشر وهي مثابرة على ما عهد بها القرآء من نشر الفوائد الكثيرة والمطالب المهمة · فنهنىء صاحبها الفاضل بما احرزه من هذا المقام الخطير بكده وجده ونرجو لمؤلفاته مزيد الرواج والانتشار

الوطن — اجتازت هذه الجريدة الحرة الجريئة سنتها الاولى ودخلت في الثانية وهي مجتهدة في خدمة الوطن بحجة قوية وبلاغة نادرة · فنمحض صاحبها الكاتب الحرّ الكبير شبلي افندي ملاط خالص التهاني ونتمنى لجريدته الغرآء ما تستحقه من الاقبال ومزيد الانتشار

العصر الجديد — جريدة سياسية تجارية علمية صناعية ادبية

زراعية تصدر في دمشق لحضرة صاحبها الفاضل ناصيف افندي ابي زيد وقد كانت تصدر في سنتها الاولى مرة في كل اسبوع غير انها بدخولها في الثانية صارت تصدر مرة كل يوم وهذا مما يدل على اتساع رواجها فندعو لها بدوام الاقبال

الكوثر — مجلة علمية فنية سياسية لصاحبها الكاتب المجيد بشير افندي رمضان. وقفنا على بعض اعداد منها فالفيناها طافحة بالمقالات والفصول المفيدة في الاغراض المشار اليها . وهي تصدر في بيروت مرة في كل شهر . فنرجو لها الانتشار

جامعة الفنون — مجلة عثمانية تبحث في سائر الفنون العصرية وتصدر في طرابلس الشام مرتين في الشهر لحضرة منشئها الفاضل احمد افندي كمال حداد. وقد وردنا الجزءان الاولان منها فوجدناهما مشتملين على عدة مقالات رائقة في اغراض مختلفة فنحث القراء على مطالعتها . وقيمة اشتراكها ١٠ فرنكات في طرابلس و١٢ في الخارج

حديقة الاخبار — جاءنا منشور من اصحاب هذه الجريدة الغراء التي هي اقدم الصحف العربية في سوريا وقد احتجبت موءخراً الاسباب مطبعية. وفي المنشور ان اصحابها الافاضل قد صحت عزيمتهم على اعادة نشرها . فنرجو سرعة ظهورها وانتشارها

الجامعة ـ هي المجلة الاجتماعية العمرانية التي نالت استحسان

جمهور القرّاء في القطرين السوري والمصري قد عادت الى منشإها الاول بعد ان غابت عنه بضع سنين في الولايات المتحدة وستظهر قريباً في القاهرة · فنهنىء قراءها ومرّ يديها بعودها الميمون ونرجو لها طيب الاقامة في وادي النيل فهو ابرّ بها من بلاد الذهب

﴿ اهداء النفائس ﴾

اهدى هذه المجلة — ما دامت في قيد الحياة ـ حضرة الفاضل المشهور بنصرته للمشاريع الوطنية الادبية جبرائيل افندي نقاش مدير تلغراف و بوسطة حيفا الى حضرة الخواجه ديمتري اسطفان (مصر)

واهداها عن السنة الثانية حضرة الاستاذ الاديب جبران افندي مطر (بيت لحم) الى ابنة عمه المعلمة فرحة مطر (الناصرة)

واهداها حضرة الكاتب الفاضل زكريا افندي الخوري المري (نزيل حمص) الى كل من حضرات مصباح افندي نحاس مدير المدرسة العلمية في حمص ومحمد علي افندي استاذ التركية فيها لما لهما على الشبيبة من الايادي البيضاء في خدمة العلم الشريف

واهداها حضرة الاديب سمعان افندي حاماتي (حيفا) الى حضرة الخواجا ايليا بيلو (بناما)

فنسدي هولاء الكرام خالص شكرنا على هذه المعاضدة الادبية